الياذة هوميروس

نبذة في تعريبها الحديث

لحضرة الاب خليل اده اليسوعي

كنّا قد اثنينا في المشرق (ص ٧٨٠) على همة معرّب الالياذة عزتلو سليمان افندي البستاني وارجأنا الكلام في كتابه مطولًا الى وقت اخر وها اننا اليوم منجزون ما وعدنا به

لا يسعنا اطلاع القارئ على كل ما حوتهُ مقدّمات ذلك الكتاب وهي زهاء مائتي صفحة من القطع الثماني الكبير ولا يمكننا تفصيل الالياذة وبيان مزايا التعريب في كل نشيد منها ولا ايضاح كل ما اتى بهِ المؤلف في الحواشي من تفسير او نقد او فائدة تاريخية او نكتة بديعية او مقابلة بين اشعار هوميروس واشعار العرب مما قالوه في مثل معاني الشاعر اليوناني فانّ تلك الافاضة تستوجب لا مقالة بل مقالات فضلًا عن انها لا تغني عن قراءة الكتاب والتبحر فيهِ مليًا. واننا نلم بعض الالمام بهذه المواضيع ونذكر ما سنح لنا من الخواطر مما رايناه مفيدًا في مقدّمات المؤلف وتعريبه والحواشي التي علقها على المتن

١ مقدمات الكتاب

وان احسن ما رأيناه في هذا المقام لبيان ما في المقدّمات من الابحاث الخطيرة نقل كلام المعرب نفسه في ديباجة كتابهِ قال (ص ٥ وما يليها):

وقد صدّرتها بمقدّمة اتيت فيها على سيرة صاحب الالياذة واشرت الى منظوماتهِ ومتراثهِ عند القدماء ورأي المتأخرين فيه واقوال العرب في شعره. وبحثت في الالياذة وموضوعها وطرُق تناقلها قبل الكتابة ثم في جمعها وكتابتها وسلامتها من التحريف مع ما فيها من قليل الدَّخيل والساقط والمكرَّر والمتلق. واتيت على تحليلها وتشريحها وبسط ما فيها من الفائدة للادب والتاريخ وسائر العلوم والفنون والصنائع. واوضحت ما كان من الاسباب الداعية في صدر الاسلام الى اشتغال العرب بنقلها الى لغتهم. وتطرّقت الى التعريب فقصصت حكاية المعرّب في وضع هذا الكتاب. وذكرت مناهج العرب في نقل الكتب الاعجميّة والطُرق التي يجدر بالنقلة التعويل عليها. وساقني ذلك الى النظر في التعريب الشعري ثم الى النظم على الاطلاق واوزان الشعر وقوافيهِ ووقع كلٍ منها في معانيهِ. وجوازات الشعر من مأنوسٍ ومكروهٍ الى غير ذلك مما يُعدُّ من خصائص هذه الصناعة

وانتقلت الى المقارنة بين الالياذة والشعر العربي . فوطّأت لذلك بالشعر القديم واصله وسبب طهوره ومناشدات سوق عكاظ وشأن امة قريش فيها وفضل القرآن في جمع اشتات اللغة وتوحيدها واحكام بلاغتها في النظم والانشاء . وقابلت بين لغة قريش المضرية ولغة الالياذة اليونية . وفصّلت اطوار الشعر العربي مميزاً بين طبقات الشعراء من عهد الجاهليين حتى يومنا واثبتُ مزايا كل طبقة منها مع تعيين مدّتها واسماء فحولها وايراد ما اتسع لهُ المقام من نفيس شعرهم ثم اشرت الى مفاخر الشعر العربي ومناهج المولّدين في ابواب الشعر وفنونهِ واساليبهِ وعلوم الادب العربية وتاريخها . وانتهيت الى . . . . . شعر المحدثين وجنوح النوابغ من ابناء هذا العصر الى سدّ الخلل وتعديل الخطّة . وافردت باباً للملاحم او منظومات الشعر القصصي ما يماثل الالياذة فاشرت الى ضروب الشعر عند الافرنج وقابلت بين ملاحم الاعاجم والملاحم العربية من الشعر الجاهلي وجمهرة اشعار العرب . واستطردت من ذلك الى القاء نظرة على الجاهليتين جاهلية العرب وجاهلية اليونان ثم الى ملاحم المولّدين . ورجعت بعد هذا الى الحقيقة والمجاز وما يلصق بالمعاني الشعرية من التشبيه والكناية والاستعارة والبديعيات وما ينتابها من النقل والسرقة وتوارد الخواطر وما قد يطرأ عليها من التغيّر بتبدل الحضارة . والممت الى مسالك الاعاجم في ذلك مبيناً مزية العربية على لغاتهم في بعض الاحوال . وذيلت المقدمة بخاتمة في الشعر واللغة عارضت فيها بين العربية واليونانية وبحثت في اتساع العربية وثروتها القديمة وكثرة مترادفاتها وتعدُّد المعاني فيها للفظ الواحد مع ايضاح فائدة ذلك وضرره وايراد اسباب الضعف في تأدية ما استحدث من المعاني العصرية . واشرت الى نهج العرب بالتوسع في اللغة والاصطلاح . وختمت بخلاصة موجزة في ما تراءى لي من الداء والدواء والنهضة الحديثة ومستقبل اللغة والشعر

فيرى القارئ من هذا البيان عدد المواضيع الحرية بالاعتبار التي اجال فيها المعرّب نظر متبصر مدقق

وقد سرنا ما ذكره (ص ٢٠ وما يليها) من تقديم اصحاب النقد لهوميروس واعلاء مرتبته بين الشعراء واعتماد الاستاذة عليه لتخريج الاحداث في الفنون الادبية مما خلد ذكر هوميروس بين الشعوب المتمدنة وقد قال (ص ٦١) في سبب هذا الخلود كلاماً نستلفت اليه نظر القارئ :

« انَّ هوميروس انما نقر على اوتار الاندية فاثارها . ونفخ في بوق الارواح فأطارها . ومزج الحقيقة بالخيال مزجاً يخيل لك انهما تآلفا فتحالفا . وسبر اعماق النفس في سذاجتها . وتحرّى النظرة في بساطتها . وهاج العواطف والشاعر وتكلم بجلاء لا تشوبهُ سمة التكلف فاسهب موضع الاسهاب واوجز موضع الايجاز ومثّل تمثيلاً ناطقاً وفصّل تفصيلاً صادقاً عن عقيدة واخلاص . واذا اضفنا الى ذلك بلاغة الشعر وتناسق النظم ودقة السبك ورقة المعنى والسهولة والانسجام ذهبت عنك غرابة ذلك الخلود » اه

وبالاختصار خلد هوميروس لانهُ تكلم بلسان يفهمهُ الجميع على اختلاف اجناسهم

وتباين لغاتهم الا وهو لسان القلب البشري لسان لا تبلى جدته ولا تمل نغمتهُ فمن اشعار هوميروس يصح ما قلناه في غير موضع انها ترجمان الحسن ومرآة جلية يتمثل فيها الجمال بصورة بديعة لا يلتبس على احد ادراكها. ولذلك هي في اعلى طبقة من « الصنعة »

وقد كان يجدر بنا في هذا المقام ان نعرف قراءنا باصل الالياذة وما جرى بسببها من المناقشات بين العلماء. ولكنَّ مجال مقالتنا اضيق من ذلك (١ الّا اننا نجتزئ على القول بان العرب ركن في اصل الالياذة الى راي الذين يقولون بوحدة ناظمها وان كانوا عاجزين عن اذلال كل صعب في سبيل اثباتها. وقد حصر هذه الوحدة بقوله (ص ٥١): « انَّ هوميروس هو ناظم الالياذة وانهُ هو ناسج بردها وناظم عقدها من اولها الى اخرها بصرف النظر عن الحقائق التاريخية البحتة وعما قد يتخللها من ساقط ودخيل » اه. واما ما يهمنا النظر فيهِ فهو طريقة العرب والاصول التي اعتمد عليها. واول ما تحراه الصدق في النقل مع مراعاة قوام اللغة قال (ص ٧٧):

« اني وطنت النفس على ان لا ازيد شيئاً على المعنى ولا انقص منهُ ولا اقدم ولا اوخر الا في ما اقتضاه تركيب اللغة. فكنت اعمد الى الجملة سواء تناولت بيتاً او بيتين او اكثر او اقل واسبكها بقالب عربي اجلو رواءه على قدر الاستطاعة . . »

فنعم المسلك هكذا يكون التعريب والنقل والّا لما ادّى الى تعريف الاصل وبسمه رسماً صحيحاً يطبع في النفس المثال الذي صوره المؤلف. ولا تنكر ما في هذا المسلك من المشقة سيَّما ان كانت اللغات كثيرة التباين متنافرة الطباع لان الترجمة تستوجب ليس فقط معرفة اللغة التي يُنقل اليها بل ايضاً معرفة اسرار اللغة المنقول عنها وقد فطن لذلك حضرة المؤلف بادئ بدء فاكب على مطالعة اللغة اليونانية وانا لنسر مما لاقاه من المساعدة عند الاباء اليسوعيين في مصر

ثم انَّ تضلع الناقل من اللغات لا يكفيهِ مؤونة التعب والسهر فهو في حاجة شديدة الى اعمال الفكر واجهاد النفس حتى يؤدي الاصل على تمامهِ وهو مع ذلك

---

١) من اراد الوقوف على هذه الابحاث فليطالع كتاب « كروازه » في تاريخ الآداب اليونانية المجلد الاول الفصل الثاني والثالث والرابع Croiset, Histoire de la Littérature Grecque, Paris, Thorin 1887

يبقى عاجزًا عنهُ كما لا يخفى . فليس الجيد من النقلة من اصاب المرمى انما هو من قاربه واذ تكلمنا عن النقل فليسمح لي القارئ باستطراد لا اظنهُ يخلو من الفائدة

انَّ طريقة التعليم المسماة « الطريقة المدرسية » (Enseignement Classique) اكثر ما تعتمد عليهِ لتهذيب الطلبة مطالعة تآليف من نبغ في الكتابة من اليونان واللاتين ونقلها الى اللغة الدارجة على احسن اسلوب وهي طريقة شهدت لها الاجيال ولا تعادلها طريقة على رأي كل من كان قادرًا على الحكم في هذا الامر الخطير نخص بالذكر منهم من سمعت تقاريرهم اللجنة الشهيرة التي الفتها الحكومة الفرنساوية للتبصر في هذه المسألة المهمة ولعلنا نطلع قرَّاءنا يومًا على بعض شهاداتهم (١

اما الان فحسبي الدلالة الى سبب الافضلية التي حازتها هذه الطريقة في التعليم وذلك اولًا لانَّ الكتَّاب الاقدمين من يونان ولاتين بلغوا في الادب شأوًا لم يكد يبلغهُ من جاء بعدهم فهم الى الآن الاساتذة في الفنون الادبية ولا يظن القارئ انَّ في مطالعة مؤلفات الكتَّاب والشعراء المتأخرين وان اجادوا وان فاقوا الاقدمين انفسهم غنى عن درس الاقدمين لانَّ تآليفهم فيها من دقَّة النظر وكثرة التحليل للعواطف الخفيَّة وعلوّ المدارك ما يقصر عن فهمهِ الاحداث امَّا الاقدمون فمعاني اقوالهم وطرق تآليفهم من السذاجة والبساطة ما ينطبق على افهام الاحداث فتراهم للحال يحبونها طربًا وقد اختبر ذلك كل من اعتنى بتدريس الاولاد ولا عجب فانَّ ادب الامم في صباهم لا تزال آداب الصبا في اي جيل كان

واما ثانيًا فلانَّ الترجمة تجبر الولد على استخدام كل قواه العقلية وان لا يدخر وسيلة حتى اذا فهم مراد الكاتب نقلهُ بعبارة جليَّة فصيحة تنطبق على الاصل بلا زيادة ولا نقصان . فعليهِ ان يستعمل العلوم الصرفية والنحوية واللغوية والتاريخية والادبية والمنطقية فتمرين الترجمة عبارة عن تمارين عديدة في مواضيع شتى فضلًا عما يستوجبه من المقابلة بين اللغات وهي اعظم الدواعي لانهاض همة الولد واجمع الوسائل لتذكية ذهنه وتوسيع عقله وتدريبه على تقدير الامور قدرها وتوطينه على الاحكام والضبط في كل ما يتعاطاه

(١ طالع le Rapport sur l'Enquête de la grande Commission de l'Enseignement.

وربَّ قائل : ان كانت الترجمة على ما ذكرت من الفائدة للطالب فما انفعها لو كانت من اللغات التي يهم ابناء هذا العصر معرفتها فتكون مطالعة تلك اللغات رياضة للعقل وآلة في يد الشاب يتعيش بها اذا مست الحاجة

اجيب ان النقل لا يفيد الفائدة التي ذكرتها الَّا اذا كانت اللغة « ميتة » كما يقولون لا حيَّة لان لغات العصر سيما الاوربيَّة كثيرة التشابه فلا يكاد يحتاج فيها الانسان الَّا الى معرفة المفردات وقواعد النحو حتى يترجم ترجمة مقبولة ولك ان تختبر ذلك اذا شئت فترجم مثلًا من الانكليزيَّة الحديثة الى الفرنسية الشائعة الآن يتضح لك حقيقة مقالنا. واما السبب فهو لان شيوع تمدن واحد في ظهراني الامم الحالية اثر حتى في طبائع العقول فاعتادت تصوير المعاني بطرق متشابهة واساليب متماثلة ولا عجب لان الفنون مرآة التمدن واعظم شاهد على احوال النفوس

نعم ان الاختلاف بين اللغات السامية والاوربية اعظم منها بين الاوربية ولكن هذا التباين لا يزال يتناقص كما تحققهُ كل يوم عند مطالعة الجرائد والمؤلفات العصريَّة وذلك لامتزاج التمدن الغربي بالتمدن الشرقي فكأن روح واحد انبث في صدور ابناء هذا الجيل كما ان زيًّا واحدًا اصبح شائعًا بينهم. واما اليونانية واللاتينيَّة فلا خوف عليهما من تغيير زيهما لانهما ميتتان قد ارخى الدهر عليهما ثوب الجماد فيحتاج الناقل منهما الى نشرهما واحيائهما ثم كسوهما لباسًا منسوجًا في عصرنا مأنوسًا لا تنفر منهُ الطباع فدون ذلك عرق القربة ولكن فائدته لا تقدر. هذا فضلًا عمَّا في الجملة اليونانية واللاتينية من النظام في السبك مما لا تعادلهما فيه لغة اخرى

ولنرجع الى تعريب الالياذة. ان في تعريبها صعوبة اخرى وهي صعوبة نقل الاعلام الى لغتنا وقد كانت لحضرة المعرب كما قال (ص ٨٠) عثرة في سبيل احكام النظم في النشيد الاول فكان لا بد من وضع اصول يعتمد عليها في سائر الاناشيد وقد اقتصرنا على ذكر البعض منها

اول ما يعرض للناقل اسامي المعبودات فقد ابقاها المعرب على اصلها اليوناني ولم يستعمل ما يوافقها من الاسماء التي ذكرها العرب فقال مثلًا زفس (Zeus) ولم يقل المشتري وقد اصاب في ذلك « لان مشتري العرب وغيره من معبوداتهم هم غير امثالهم عند اليونان وليس لهم في كتبنا وصف معين ينطبق على المفاد اليوناني »

وقد احسن ايضاً بتعريب هوميروس وهيلانة واشباههما بالهاء في اولها لانَّ الضابط (esprit rude) الذي على هذه الاحرف المصوتة (voyelles) في الاصل يلفظ كالهاء عندنا ثم ولو كان اصل اللفظة اليونانية غيرة في اولها فلا بأس من تحويلها الى هاء لتخفيف اللفظ على السنة العرب

وقد راعى في الالفاظ التي فيها δ جودة اللفظة فتارةً وضع لها الدال وتارة الذال ولا ملامة لانَّ الـ δ وان لفظت ذالًا عند يونان العصور المتأخرة الَّا انها في القديم كانت على الغالب تلفظ تارة ذالًا وتارة دالًا بالتخفيف كما ورد ذلك في ما يشابهها من الاحرف السريانية او العبرية . وكذلك خفف الثا فقلبها تا،

امَّا حرف ϝ الذي لا مقابل لهُ في العربية وهو الباء الفارسية فقد اختار لهُ الفاء لقرب مخرجها اليها ولاستعمال العرب لها . وهو جائز للسببين المذكورين ولكنَّ الفاء ثانية كما تتحقق ذلك من قراءة الاعلام في الالياذة وثانياً لانَّ عادة اصحاب اللسان العربي في نقل الپا الى الفاء ليست هي عادة عصرنا فانَّا نحتاج في الجرائد وغيرها كل يوم الى رسم هذا الحرف في لغتنا فلا يكاد يوجد من يختار لهُ الفا وانما يختارون الباء والعادة اقوى حجة في الوضع اللغوي

ثم ابقى الاسماء الشائعة بين العرب على حالها فقال الاسكندر ولم يقل أنكسندر وهذا واجب على راينا لانَّ الاستعمال الدارج هو في اللغات الركن الاول الذي يجب الاعتماد اليهِ ولذلك كان ممكناً استعمال صيغ بعض الاعلام على ما هو شائع بين الافرنج في ايامنا لانَّ من الفها على هذه الصورة يستوحش من قراءتها على صورة اخرى غير مانوسة وما ذلك الَّا كشيوع بعض الاصطلاحات العلمية الماخوذة عن اليونانية في كل اللغات فاذا استعملناها اضطررنا الى ابقاءها على ما هي عند الفرنج ولو اخطأوا في كيفية تمثيلها لئلا نبقى كالمتزلين في العلم والاداب في عصر شمل تمدُّن واحد كل الاصقاع

وليسمح لنا حضرة العرب بان نبدي هنا رأياً في اواخر الكلم المنقولة بحرفها عن اليونانية واللاتينية . من المعلوم انَّ الالفاظ في هاتيك اللغتين تعرب اي انها تنتهي باحرف وحركات تختلف باختلاف محل تلك الالفاظ في الجملة فصيغة الكلمة مثلًا اذا كانت في محل الفاعل هي غيرها اذا كانت في محل المفعول بهِ او المضاف اليهِ او التمييز او المنادى ويبقى مع ذلك اصل الكلمة او « الجذر » (le radical) واحداً لا يتغيَّر في

كل هذه الاحوال فاذا كان الامر كذلك فلماذا نرسم في اواخر الكلم المنقولة عن اليونانية السين التي هي علامة الفاعل على الغالب ونشفعها بحركات اعرابنا مما يثقل اللفظ تثقيلاً لا مزيد عليه سيما اذا تكاثرت الاسماء في جملة واحدة ؟ افما يحسن ابقاء جذر اللفظة الاجنبية واعرابها على الطريقة العربية كل ما امكن ذلك ؟ وقد حدت السليقة بالاوربيين الى استقاط احرف الاعراب من الكلم اليونانية او اللاتينية اذا نقلوها الى لغاتهم ولم يفت هذا الاعتبار حضرة المعرب لانه استغنى في بعض الاعلام عن السين وما قبلها من الحركات وقال مثلاً اخيل ولم يقل اخيلس ولو اكثر من ذلك لكان خفف على لسان القارئ واذن السامع جملة من اشعاره الرنانة (لها بقية)

مطبوعات شرقية جديدة

Ouvrages de J. Urquhart — E. Spliedt: Die neueren Entdeckungen und die Bibel, B. V. S. 376. in-12. 1904. Die Bucher der Bibel, B. I. S. 176, in-12. 1904. *Verlag von Kielmann, Stuttgart.*

الاكتشافات الجديدة والتوراة — الاسفار الكتابية

هما تأليفان حديثان وضعهما بالانكليزية المعلم اوركهرت ونقلهما الى الالمانية المعلم شليت وكلاهما يناضل عن التوراة ويزيف مزاعم الاباحيين فيها . والكتاب الاول هو القسم الخامس من مجموع مصنفات غايتها بيان الوفاق بين الاكتشافات العلمية الحديثة والاسفار المنزلة على مثال تأليف الاب ڤيكورو المنون : « التوراة والاكتشافات المستحدثة » الذي كرّر مرارًا طبع اجزائه الاربعة . والتأليف الذي ارسل لادارة المشرق يشمل اسفار التوراة من سفر الايام الى الخيل القديس يوحنا . وفيه ايضاً عدة تصاوير الا انها اقلّ من كتاب الاب ڤيكورو . هذا وان جاز لنا الحكم في مجمل هذا التأليف بالجزء الذي لدينا لقلنا انّ صاحبهُ متشبث بآراء الحافظين على التعاليم القديمة ولعلهُ يبلغ في ذلك ما لا يبلغهُ الكاثوليك انفسهم ولهذا السبب قد تذّد فيهِ الاباحيّون وصوّبوا اليهِ سهام الملامة في اشياء كثيرة

اما الكتاب الثاني في الاسفار الكتابية فانّ مؤلفهُ جعل لهُ كعنوان ثانوي « طريقة